الدرس العاشر (ثلاثة حصص)

الموضوع: النمط الحجاجي

1. مفهوم الحجاج:

أ. لغة:

هو في "لسان العرب" "النمط: ظهارة فراش ما، وفي التهذيب: ظهارة الفراش. والنمط جماعة من الناس أمرهم واحد، وفي الحديث: خير الناس هذا النمط الأوسط (...)، قال أبو عبيدة: النمط هو الطريقة، يقال: الزم هذا النمط أي هذا الطريق .والنمط أيضا الضرب من الضروب والنوع من الأنواع (...) والزم هذا النمط؛ أي الزم هذا المذهب والفن والطريق"[1].

ب. اصطلاحا:

هو الطريقة التقنية المستخدمة في إعداد النص وإخراجه بغية تحقيق غاية المرسل منه، ولكل فن أدبي نمط يتناسب مع موضوعه، ولكل نمط بنية وترسيمة تتلاءم مع الموضوع المطروح.

إن الأنماط تساعد على إيصال الفكرة عندما يحسن الكاتب توظيفها، ولا شك أن توظيف الأنماط وإتقان الربط بينها يتطلب مهارة في الصياغة الفنية وطرائق الكتابة.

يستخدم المرسل عادة عدة أنواع من الأنماط؛ حيث يندر وجود نص أحادي النمط، أما إطلاق النمط على نص ما فيكون للنمط المهيمن أو الرئيسي فيه.

2. مفهوم الحجاج:

أ. لغة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور" حج :الحَجُّ؛ القصد ... والحُجَّة: البرهان، وقيل الحُجَّة: ما دوفع به الخصم... ، والتَّحاجُّ: التخاصم، وجمع الحُجَّة: حُجج وحجاج، وحاجه محاججة وحجاجا: نازعو الحجة، وحجه يحجه حجا :غلبه على حجته، وفي الحديث :فحج آدم موسى؛ أي غلبه بالحجة، واحتج بالشيء: اتخذه حجة، قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج؛ أي تقصد

(1) ابن منظور ، "لسان العرب"، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 361.

لأن القصد لها و إليها... والحجة: الدليل والبرهان، يقال حاججته فأنا محاج وحجيج على وزن فعيل بمعنى فاعل[1]"

وجاء في " تاج العروس " للزبيدي": حجج: الحج: القصد مطلقا، حجه يحجه حجا قصده ... والحج: الغلبة بالحجة، يقال حجه حجا؛ إذا غلبه على حجته ... والحج :كثرة الاختلاف والتردد، وقد حج بنو فلان فلانا؛ إذا أطالوا الاختلاف إليه"[2]

والحجة "ما دل على صحة الدعوى، فقيل الحجة والدليل واحد"[3].

ب. اصطلاحا:

قال فيه " أبو هلال العسكري " "هذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين (...)، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"[4]

عرفه "محفوظ كحوال" بقوله "هو أسلوب تواصلي يعتمد أساسا على تقديم الحجج والبراهين قصد إقناع الطرف الآخر (المستمع، المخاطب، القارئ) ...حول إشكالية ما"[5].

"إن الحجاج يندرج ضمن ما تطلق عليه علوم الاتصال السلوك أو الموقف الخارجي الذي يهتم بكل ما يتعلق بطريقة إيصال الرسائل وفهم دلالتها الاجتماعية في السياقات التي ترد فيها"[6].

وهذا ما يدل على اتساع هذه العملية وعمقها وشموليتها، لتشمل المتكلم، والمخاطب، والرسالة الكلامية، والسياق، يقول "باتريك شارودو" (Patrik Charaudeau) "الحجاج حاصل نصي من مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي"[7].

وقد أطلق الباحث البلجيكي" بيرلمان": (C. Perehman) "مصطلح البلاغة الجديدة (The new rhetoric) سنة 1958 على دراسة الحجاج (Argumentation) وتوصل إلى أن الحجاج سلسلة

---

(1) المرجع نفسه، ص 37- 38.

(2) الزبيدي، تاج العروس، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص 258- 260.

(3) الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ص 87.

(4) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 39.

(5) محفوظ كحوال، أنماط النصوص النظرية والتطبيق، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، 2007، ص 188.

(6) Philippe Breton : '' L'argumentation dans la Communication '', 3ème éd Repères, p7.

(7) باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب "نحو المعنى والمبنى"، تر: أحمد الود، دار الكتاب الجديد، ط1، 2009، ص 16.

من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد نفس النتيجة، ولعله نص هنا على كونه أسلوبا تنظيما في عرض الحجج، وبنائها وتوجيهها نحو هدف معين يكون عادة الإقناع والتأثير غايته، فتكون الحجة في سياق هذا الغرض بمثابة الدليل على الصحة أو على الدحض"[1].

ويتميز الحجاج عند "**بيرلمان**" بخمسة ملامح رئيسية:

1. أن يتوجه إلى مستمع.
2. أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
3. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
4. لا يفتقر تقدم تناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
5. ليست نتائجه ملزمة[2]".

" ويشير استخدام مادة (Argue) في الانجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفي الخطاب، ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، وذلك بتقديم العلل (Reasons) التي تُكوّن حجة (Arguement) مدعمة أو داحضة لفكرة أو سلوك ما"[3].

والحجاج عملية اتصالية دعامتها الحجة المنطقية لإقناع الآخرين والتأثير فيهم، والمحرك لهذه الوظيفة هو الاختلاف بين المخاطبين، فلا يكون الحجاج فيما هو يقبني أو إلزامي.

3. مراتب الحجاج:

أ. الحجاج والبرهنة:

يمكن "دراسة الحجاج من تحليل التقنيات الخطابية التي تسمح بأحداث ميل السامع إلى الأطروحات التي نعرضها على مسامعه أو التي تسمح بتعزيز ذلك الميل، وهذا ما يجعل الاختلاف بين الحجاج والبرهنة أمرا من قبيل المسلمات، أما البرهنة: فهي استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقية النتيجة أو احتماليتها القابلة للاحتساب، وذلك انطلاقا من المقدمات

(1) عدنان بن ذريل، في البلاغة الجديدة، دمشق، (د ط)، 2004، ص 2.

(2) محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ع2، 2000، ص 53.

(3) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص 105.

المعتبرة صادقة أو محتملة وفي تقابل مع البرهنة التي يمكن أن تتخذ شكل حساب فإن الحجاج يُطلب به الإثبات والإقناع"[1]

كما يمكن عد البرهنة مرتبة أولى بسيطة من الحجاج، ذلك لأن الحجاج" 8 لا يتم توجيهه إلا في سياق نفسي اجتماعي، فإن كانت البرهنة تقع بطريقة مجردة في استقلال عن كل سياق عدا سياق النظام وكانت صحيحة أو خاطئة، مطابقة لقواعد الاستدلال في النظام أو غير مطابقة، فإن الحجاج ينهض على حجج مفيدة أو غير مفيدة قوية أو ضعيفة، موافقة للخطاب الذي نتوجه إليه، ولا يقوم التفكير الحجاجي على حقائق عامة ولكن على أراء تهتم بأطروحات من كل طائفة، فمجال تطبيق نظرية الحجاج يتجاوز مجال تطبيق نظرية البرهنة أيّما تجاوز، ذلك أن الحجاجات تنهض على كل ما يمكن أن يكون موضوع إبداء رأي أو إصدار حكم قيمة أو حكم واقع أو موافقة نظرية أو مناسبة قرار، توفر البرهنة أدلة ضرورية، أما الحجاج فيقدم أدلة لصالح أطروحة محدودة أو ضدها"[2]

ب. الإفحام والإقناع:

يتجلى من العنوان أن يكون المتكلم ذا ملكة حجاجية هدفها إقناع السامع وإفحامه "وتركز هذه النظرية على التنوع الشديد للمتخاطبين الذين يتوجه لهم خطاب مكتوب حجاجي، هؤلاء المخاطبون الذين يتوجه نحوهم الحجاج يتراوحون كميا من فرد واحد إلى البشرية جمعاء، ويتراوحون كيفيا من مجموعة من العوام المجتمعين في الساحة العامة إلى الفرق الدقيقة التخصص والعالية الكفاءة فثمة مخاطب من صنف خاص، إذ يوازن المتكلم بين الانتصار لشيء أو معارضته، جاعلا نفسو كائنا مضاعفا، إذ يتخذ المتكلم ذاته مخاطبا لو"[3].

نخلص إلى أن لكل سامع مرتبة من مراتب الحجاج تمارس عليه من قبل المتكلم، وذلك بالنظر إلى ثقافة السامع محيطه والمجتمع الذي يعيش ويتفاعل معه فمنهم من يسمع يقتنع، ولكن منهم من يسمع ليحاجج، ومن هنا ينتقل المحاجج إلى مرتبة الإقناع ومن بعدها الإفحام وفق آليات

(1) صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008، ص 69.

(2) م. ن. ص. ن.

(3) م ن، ص 70.

حجاجية تستميل ذهن أي نوع من السامعين، ولكي تكون للمتكلم فكرة عن السامع عليه أن يُعمل العقل: "أي إن استعمال العقل ليس أمرا ذاتيا خالصا، بل هو يستحضر الآخر (المخاطب) ويقرأ لو حسابا"[1].

معنى هذا أن هناك عقولا تقبل أي أطروحة وأي مقدمة، لكن هناك عقول متوقدة تستفسر وتسأل لتقنع في الأخير، و"يتمثل هدف الحجاج في التأثير في الجمهور، والمعيار الأول الذي نقيس به خطابا ما هو نجاعته، بيد أنو ليس معيارا كافيا لأننا لا يمكن أن نهمل نوعية الجمهور الذي يُوجه الخطاب إليه، إننا نستطيع التمييز بين خطابات رجل السياسة والمحامي، والعالم والمفكر والمتكلم (نسبة إلى علم الكلام) والفيلسوف، لا فقط بمواضيعها؛ بل نميزها أيضا وخاصة بالجمهور الذي تتوجه إليه الخطابات، وبحسب التقنيات المستعملة، فلإقناع سامع مخصوص تستعمل آليات لا تصلح لإقناع جمهور كوني، ويتسم الحجاج بالعقلاني لكونه قادرا على إقناع جمهور كوني"[2]

4. تقنيات ووسائل الحجاج:

أما تقنيات الحجاج فيقسمها" بيرلمان "وزميله إلى فئتين، هذا التقسيم يخص تقنيات الحجاج اللغوية، متمثلة في طرق الوصل وتقنيات طرق الفصل: "ويقصد بالأولى ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا وإيجابا وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"[3].

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

- الأدوات اللغوية الصرفة: مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل النسبي والتركيب الشرطي وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل.

---

(1) صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 70.

(2) م. ن. ص. ن.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 477.

- الآليات البلاغية :مثل تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، البديع، التمثيل.
- الآليات شبو المنطقية: ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: لكن، حتى، فضلا عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التوكيد ودرجات التوكيد والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة"[1].

1. مفهوم النمط الحجاجي:

النمط الحجاجي" هو الطريقة المستخدمة لتقديم نص برهاني إقناعي"[2].

وهو أسلوب تواصلي يرمي إلى إثبات قضية (برهاني) أو الإقناع بفكرة أو إيصال رأي (إقناعي)، أو السعي لتعديل وجهة نظر من خلال الأدلة والشواهد (دحضي)[3].

وهو الطريقة التقنية المستخدمة في إعداد النص الحجاجي وإخراجه بغية تحقيق غاية المرسل منه"[4].

2. وظائف النمط الحجاجي:

أ. وظيفة إقناعية:

حين يسعى المرسل إلى إقناع القارئ، وجعله يقتسم وجهة نظره مستغلا في ذلك أحاسيسه من أجل التأثير، أو عقله من أجل الإقناع.

ب. وظيفة جدالية:

عندما يكون الهدف الأول للمرسل السخرية والتنقيص لشن لا يتفق معهم على قضية أو رأي أو موقف.

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، م س، ص 477.

(2) محمد الورتاني، أنماط النصوص، الحوار المتمدن، 2008.

(3) أرشيف منتدى الفصيح، الأنماط الأدبية، المكتبة الشاملة الحديثة.

(4) المرجع نفسه.

- إن الوظيفة الحجاجية للخطاب تبرز في البنية التركيبية للغة ذاتها؛ أي أن الحجاج موصل لغوي قبل أن يكون من مظاهر التداول الخطابي؛ فالحجاج إذن هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة.

ج. الاستدلال والبرهنة:

تعتبر هذه الوظيفة ذروة العملية الحجاجية ؛ إذ من خلالها يسعى المحاجج إلى تقديم سلسلة من القضايا ينبثق بعضها منطقيا من بعض، وتحديد موقفه وفق إستراتيجية معينة، مع الحرص على التأثير في المتلقي من أجل التصديق والانفعال.

د. الوظيفة التصديقية:

وتعي هذه الوظيفة حمل المتلقي علي التصديق، انطلاقا من مقدمات تؤدي إلى نتائج، أو بواسطة نسق استدلالي يترك للمتلقي فرصة استخلاص النتائج أو العبر بنفسه، فيقنع المرء نفسه بواسطة أفكاره الخاصة وبحرية اختياره القائم على العقل.

هـ. الوظيفة التأثيرية:

تتوخى الوظيفة التأثيرية الدفع بالمتلقي إلى التأثر والانفعال، واتخاذ موقف أو مواقف عملية، فمرسل الخطاب هو الذي يقنعه، وسبيله هو الاستمالة من خلال دغدغة عواطفه، وحسن توظيف الجانب الفي.

إن مستوى الإقناع والتأثير يأخذ عدة مسارات انطلاقا من استراتيجية المرسل وأهدافه ومقام إلقاء الخطاب.

و. التداول:

تقليب النظر في مشكل ما قبل أن يؤخذ قرار ما في حقه.

3. مميزاته:

"يمكن تمييز النص الحجاجي من غيره بعدة ضوابط منها:

أ. أن يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية، فليس كل شيء قابلا للحجاج.

ب.أن تكون دلالة الألفاظ محددة والمرجع الذي يحيل إليه محددا بيد أن تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى، ولكن لا يكسبه دقة ونهاية.

ج. ألا يقع المرسل في التناقض في قوله أو فعلو، ويجب أن يكون الحجاج موافقا لما يقبله العقل وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة.

د. أن يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها.

هـ. ضرورة خلو الحجاج من الإبهام والمغالطة والابتعاد عنها.

و. امتلاك المرسل لثقافة واسعة، فبقدر ما يملك الم رسل من ثقافة بقدر ما يملك من حجج"[1].

4. أغراضه

أ. الغرض التعليمي:

ويهتم بإخبار المتلقي بواقع ما دون استدعاء العواطف، ويتولاه الجانب الإخباري من الخطاب.

ب. الغرض الحجاجي:

يتمثل في جعل موضوع الخطاب لشكنا بالرجوع إلى العقل، ويدكن أن يتحقق هذا الغرض بالحجة المادية، وبالحجة المنطقية ويمتد مجال هذا النشاط إلى الجانب الاستدلالي للخطاب.

ج. الغرض الأخلاقي:

ويتعلق بتعليم المستمع في مجال الأخلاق، ويتضمن عناصر تعليمية واحتجاجية، كما يتضمن دعوة إلى العقل وتسجل عناصر النصح هنا الانتقال من المقاصد الفكرية إلى المقاصد العاطفية." [2]

5. أركانه:

يرتكز النمط الحجاجي على عدة أركان منها:

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 465- 466.

(2) المرجع السابق، ص 464- 465.

- اللجوء إلى عبارات تقصف عواطفَ المتلقي.
- اعتماد لغة تقريرية لا برفل بغموض ولا ابهام (الخطاب السياسي في أغلب الأحيان.
- اللجوء لحجج السلطة (القرآن الكريم، والسيرة النبوية وغيرهما).
- استخدام المحاج لضمير المتكلم.
- استخدام أساليب المقارنة والشرح والتفسير.
- عرض المتكلم قضيتَه بالتدريج مدعومة بحجج، وبعده يقدم القضية النقيض.

وهكذا، يمكن القول إن النص الحجاجي يتأسس على قضية أو رأي، يعرفان خلافا بحيث يهدف الكاتب إلى الدفاع عن قضيته بالحجج والبراهين الواقعية القاطعة، ومن ثم نستشف أن الحجاج هو بديلٌ عن العنف والصراع الطبيعيين بمنأى عن الأكاذيب والحجج المغالطية التي تهدف إلى التلاعب بمشاعر المتلقي وإيهامه.

6. خصائص النمط الحجاجي:

يمتاز النمط الحجاجي بعدد من الخصائص التي ينفرد بها عن غيره من الألفاظ، ويعتبر هذا النمط بمثابة حجة لإبطال الآراء الأخرى وبالتالي إثبات ذلك بالدليل القطعي، ويسعى جاهداً إلى تغيير اعتقاد المعترض، ومن بين خصائصه:

- الاستدلال المنطقي.
- الاستدلال بالأمثلة والأحداث.
- استخدام أساليب الشرط.
- طرح الأسباب الوجيهة ونتائجها بشكل واضح .استخدام أسلوب الإقناع بالاعتماد على أدوات التوكيد.
- الاستدلال بالقرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة والاقتباس منها بكثرة.
- ضرورة توافر طرفين أو أكثر للمحاجة، في النصوص الحوارية الحجاجية، قد يكون أحد الطرفين غائبا (المخاطب).
- استخدام الخطاب المباشر.

- استخدام الجمل القصيرة (إذا كان النص نثريا).
- تنامي الأفكار: أي فكرة تولد فكرة أخرى، ... وهكذا ...
- تقديم الحجج، والبراهين والشواهد من القرآن، والحديث النبوي، أو الشعر الفصيح، أو الحكم والأمثال، والقوانين الوضعية ...
- استعمال أسلوب المقارنة قصد التوضيح، والإقناع.
- الابتعاد عن الخيال، مع التوضيح والاقناع.
- استخدام الأسلوب المنطقي أساس الحجة.
- استخدام بعض القرائن اللغوية اللفظية مثل: (بناء على...، مع ذلك، مع أن، حينئذ...، على سبيل المثال، هكذا، هذا يستلزم...، إذا...)[1].

كان موضوع الحجاج قبل "ديكرو" (O. Ducrot) يرتكز أساسا على البلاغة الكلاسيكية حسب منظور "أرسطو" (Aristote) أو يعتمد على البلاغة الحديثة على ما ذهب إليه "بريلمان" أو يتجه اتجاها منطقيا وفق نظرة "كرايزر".

أما نظرية الحجاج في اللغة فقد أرسى دعائمها اللساني: "ديكرو" منذ سنة 1973م؛ حيث تهتم هذه النظرية بدراسة الوسائل والأدوات اللغوية، وإمكانياتها التي يتوفر عليها الناطقون باللغات الطبيعية على وجه من الأوجه التي تمكنهم من تحقيق الأهداف الحجاجية.

وهي تنطلق من المقولة الرائجة الصيت التي مفادها "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"[2].

"وقد انتبه العلماء العرب القدامى إلى هذا التأثير الذي يحدثه الخطاب اللغوي في المتلقي فقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين" خبرا مفاده: أن شيخا من الأعراب تزوج جارية من رهطه، وطمع أن تلد له غلاما؛ فولدت له جارية؛ فهجرها، وهجر منزلها وصار يأوي لغير بيتها، ومر بخبائها بعد حول؛ وإذا هي ترقص بنيتها، وهي تنشد:

ما لأبي حَمزةَ لا يَأتيــنا يَظلّ في البيتِ الّذي يَلينا

(1) محفوظ كحوال، أنماط النصوص، النظرية والتطبيق، م س، ص 188، 189.

(2) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة التكوين المتواصل والمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، اللغة العربية وآدابها، السنة الثانية من النظام ل، م، د، السداسي الثاني، ص 142.

غَضبان أَن لا نلدُ البَنينا تَاللَّه ما ذلــكَ في أَيدينا

وَإِنّــما نَأخــذُ ما أُعطيــنا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوها حتى ولج عليها الخباء، وقبل ابنته، وقال: ظلمتكما ورب الكعبة"[1].

وقد تجلت معالم الخطاب الحجاجي على يد علماء الكلام بصفة واضحة، وجلية في خضم الجدال المحتدم، والدائر رحاه حول تأييد العقيدة والدفاع عن الرأي؛ بإيراد البينات والاستظهار بالأدلة في نطاق المشاكلة الكلامية التي نشأت بين واصل بن عطاء (748) أحد تلاميذ الحسن البصري، وفرقة الأشعرية مع أبي حسن الأشعري[2].

7. عناصر النمط الحجاجي:

- استحداث الأخبار من الخبر.
- التفسير: ويُستخدم في هذه الآلية طرح الإشكاليّة أو القضية محور البحث كما هو الحال بالمناظرة.
- الإقناع: ويعتمد هذا الأسلوب على الحجج والبراهين التي تثبت صحة الأدلة، حيث يدافع المتناظر عن نظريّته بالاستناد إلى الأدلة الملموسة.

8. مؤشرات النمط الحجاجي:

- استخدام ضمير المتكلم من قبل المرسل باتجاه المرسل اليه من خلال ضمير المخاطب.
- تنامي الأفكار.
- الروابط الزمنية، السببية، الإستنتاجية، التعارضية، الشرطية، المتشابهة.
- استخدام النعوت المعبرة.
- استخدام الخطاب المباشر.
- استخدام الجمل القصيرة.

---

(1) م، ن، ص 43.

(2) التسمية: "بعلم الكلام" مختلف في سببها، قيل هو من قولهم: "تكلم الخلف فيما سكت عنه الساف"، وأكثر المؤرخين على أنه من قيام هذا العلم على الجدل وهو يقابل المنطق عند "اليونان" ولما كان الكلام أداة الجدل عمدوا إلى تسميته بأداته على سبيل المجاز؛ فقالوا: علم الكلام. أنظر: اليازجي، معالم الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1974، ص 154، 155.

- الأسلوب الموقع والمكثف بالتكرار أو الإعادة أو التناوب شرط عدم الإستطراد.

الفرق بين الحجاج والبرهنة: (ARGUMENTATION ET DEMONSTRATION):

ولتوضيح مفهوم الحجاج أكثر؛ يجدر بنا أن نقارنه بمفهوم "البرهنة" أو "الاستدلال المنطقي"؛ فالنص الحجاجي ليس في الواقع خطابا برهانيا بأتم معنى كلمة البرهنة. فهو لا يتضمن براهين، ولا يتوفر على أدلة منطقية، كما أنه لا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقية؛ وذلك أن لفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات فكرة معينة، أو مفهوم ما، ولا تبدي صحة الاستدلال من وجهة نظر منطقية؛ ولكي نميز بين الحجاج والبرهنة يمكن أن نسوق المثالين الآتيين:

المثال الأول: فلو قلنا:

- استقرت درجة حرارة المريض.
- إذن: سيشفى.

فإن هذا القول لا يعدو أن يكون حجاجا، أو استدلالا طبيعيا غير برهاني؛ والاستنتاج فيه احتمالي؛ ذلك أن المريض قد يشفى وقد لا يشفى، فقد يرد في نص حجاجي قول قائل: "لست متعبا ومع ذلك فسأركن إلى الراحة، منطقيا هذا القول ليس له معنى من حيث إن المتكلم ليس متعبا؛ وبالتالي لا يمكنه أن يركن إلى الراحة؛ مما يدل على العبارة التالية: "الراحة" خاطئة، ومع ذلك لا يتبادر إلى ذهن المتلقي أن الملفوظ الثاني فيه تناقض، والعلاقة التي جعلت التناقض يسقط من القول هي: "ومع ذلك" وبالتالي يصبح الخطاب السابق الذكر مقبولا حجاجيا، ومرفوضا منطقيا، وهكذا يتضح الفرق بين الحجاج والبرهنة.

غاية الوظيفة الحجاجية في اللغة:

إن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية وهناك مؤشرات[1] عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال ذاتها، ومن هذه الزاوية يصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة نفسها؛ مما يدل على أنه كلما وجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة استراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا، إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، هذه الاستراتيجية هي "الحجاج" ذاته[2].

(1) أنظر: خصائص النمط الحجاجي، ص 206، 207، من الأطروحة.

(2) حبيب أعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 30، ص 67.

التمييز بين الحجاج والاستدلال: (Résonnement)

فالأقوال التي يقتضيها استدلال ما مستقل بعضها عن بعض؛ بحيث إن كل قول منها يعبر عن قضية ما، أو يصف وضعا معينا من أوضاع العالم؛ سواء أكان واقعيا أم متخيلا؛ ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس قائما على الأقوال نفسها ولكنه قائم على القضايا التي تضمنها؛ أي على ما نقوله بشأن العالم[1].

أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها، واشتغالها داخل الخطاب "إن الحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة، أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيا، أو سلوكا غير لفظي، إلى غير ذلك، والحجة تكون ظاهرة كما تكون مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة، والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما"[2].

ويمكن توضيح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

- أنا مريض إذن: "أنا بحاجة إلى دواء" هنا ذكرت كل عناصر الأسلوب الحجاجي، فالحجة "أنا مريض" والرابط أو العلاقة هي "إذن" والنتيجة "أنا بحاجة إلى دواء".
- "أنا مريض" هنا لم يصرح إلا بالحجة، وأضمر الرابط والنتيجة التي يتم استنتاجها من السياق.
- "أنا بحاجة إلى دواء" هنا ذكرت النتيجة، وأضمرت الحجة والرابط معا.

ويحدد "جاك مويشلر" (Jacque Meshhler) في كتابه (Argumentation et conversation) (الصفحة رقم 46) معنى الحجاج بقوله: "لتطويق بعض الشيء معنى "حاج" (argument) يجب أن نضع في مقابل "برهن" "أثبت" "أقام الدليل" (Déduire) فالخطاب الحجاجي ليس خطابا حاملا لأدلة، براهين، كما أنه ليس خطابا لقيم استنتاجية منطقية. و"الحجاج" لا تعني مطلقا "برهن" على صحة قضية، ولا إبراز الطابع المنطقي للبرهان، العلاقة المنطقية تخضع لشروط الصدق (valeur de vérité)، وهذا ما لا نجده في العلاقة الحجاجية، وموجودة في الخطاب"[3].

---

(1) أبو بكر العراوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، ص 16.

(2) جامعة التكوين المتواصل والمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، اللغة العربية وآدابها، السنة الثالثة من نظام (ل، م، د) السداسي السادس، ص 145، 146.

(3) جامعة التكوين المتواصل والمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، اللغة العربية وآدابها، د ط، د ت، ص 144.